

الفرح بالعيد لأنهم تركوا رمضان

يعتقد كثير من الناس أن شرعية العيد بعد رمضان عبارة عن الفرح بخروجه والتخلص منه، لأنه يحول بينهم وبين ملذاتهم ومشترياتهم، ويفطمهم عن عاداتهم النفسية التي مرنت عليها نفوسهم، واعتادتها أهواؤهم طوال العام، فهم يعتبرونه شهر حبس وحيلولة بينهم وبين ما يشتهون، وقد يستشهد بعضهم بقوله تعالى: { وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } . قال ابن رجب في لطائف المعارف في الكلام على النهي عن صوم آخر شعبان قال: ولربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام، ولهذا يقولون هي أيام توديع للأكل، وتسمى تنحيسا واشتقاقه من الأيام النحسات، وذكر أن أصل ذلك من النصارى، فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم، وهذا كله خطأ وجهل ممن ظنه، ولربما لم يقتصر كثير منهم على الشهوات المباحة، بل يتعدى إلى المحرمات، وهذا هو الخسران المبين، وأنشدهم لبعضهم: إذ العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار وقال آخر: جاء شعبان منذرا بالصيام فاسقياني راحا بماء الغمام ومن كانت هذه حاله فالبهائم أعدل منه، وله نصيب من قوله تعالى: { وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَاجَتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا } وربما تكره كثير منهم بصيام رمضان، حتى إن بعض السفهاء من الشعراء كان يسبه، وكان للرشيد ابن سفيه فقال مرة شعرا : دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر فلو كان يعديني الأنام بقدره على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر فأخذه داء الصرع فكان يصرع في كل يوم مرات متعددة، ومات قبل أن يدركه رمضان آخر. وهؤلاء السفهاء يستنقلون رمضان لاستئصالهم العبادات فيه، فكثير منهم لا يصلون إلا في رمضان، ولا يجتنب كبائر الذنوب إلا فيه، فيشق على نفسه مفارقتها لمألوفها، فهو يعد الأيام والليالي ليعود إلى المعصية، ومنهم من لا يقوى على الصبر عن المعاصي فهو يواقعها في رمضان أه، هكذا ذكر ابن رجب رحمه الله عن أهل زمانه ومن قبلهم. ولا شك أن الدين يزداد غربة والأمر في شدة، والكثير من هؤلاء الذين يتوقفون ظاهرا عن مألوفاتهم يفرحون بانقضاء الشهر وانصرافه، فالعيد عندهم يوم فرحتهم برجوعهم إلى دنياهم وملاهيهم ومكاسبهم المحرمة أو المكروهة، فأين هؤلاء ممن يحزنون ويستأوون لانقضاء الشهر؟! بل من الذين يجعلون السنة كلها وقت صيام وقيام وعبادات وقربات، ويحمون أنفسهم عن جميع الملذات فضلا عن المحرمات؟! فالله يرحمهم فما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعده منزل